العدد (2127) السنة الثامنة - الاربعاء (11) أيار 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الحقائب

محمود عبد الوهاب

١

"الحقائب" عنوان مجموعة شعرية للصديق عبدالكريم كاصد ، كنتُ قد رحلتُ مع قصائدها باستجابة ممتعة . الحقائب في صيغة الجمع ، تعني أكثر من حقيبة واحدة ، ولحاملها تعني أكثر من محتقب واحد ، وقد تكتسبُ الحقيبة الواحدة دلالة الجمع بسبب ارتحالاتها إلى أمكنة متعددة في رفقة صاحبها ، وبتعدد أمكنة إرتحال الحقيبة أرى أن واحدتها تعددت مجازاً ، وهذه إحدى رؤى السفر عندي ، ومن هنا تدخل الحقيبة فضاء التأويل سفراً أو هجرةً .

أنا هنا لا ألتزم بدلالة مجموعة " الحقائب " للصديق كاصد ، لكني أرتحل في أنهار السفر وفضاءاته حلماً ورؤى وحقيقة لا حدود لها في بصيرة المسافر ، لا في باصرته . حقيبة السفر تشدني ليلة السفر خشيةً كأني مقبل على مصير مجهول لا رجعة بعده .

٢

وغالباً مايكون المسافر المدعو لأمر يعرفه على يقين بما سيفعله ، فالشعراء و الكتاب المدعوون إلى المربد تتهيأ حقائبهم لأمر ثقافي تضم داخلها الكتاب والمجلة والجريدة ، وربما تضم أيضاً ما يتطلبه المربد من قصائد معدّة أو دراسات مطلوبة ، فهي حقيبة ذات وظيفة ثقافية مغايرة لحقيبة المسافر الذي تقلقه ليلة السفر ، في حين يكون مدعو المربد مطمئناً لأنه على علم بما سيقدمه وما يفعله ، وعلى علم بالفضاء الأدبي الذي جاء إليه .

٣

أتأمل حقيبة سفري المركونة الآن في زاوية الغرفة ، هي داكنة في لون قماشتها ، منبعجة من الوسط . في " وارشو " تماست شابة بقماشة حقيبتي عفواً ، اعتذرت الشابة كثيراً ، ونهرُ المارة يجري ، كانت وجنتاها لفرط الخجل تتهدلان مثل عجينتين لا لون لهما ، لا تزال غمّازتاها مطبوعتين على قماشة حقيبتي ، كلّما تأملت ارتداد قماشة الحقيبة ، موضع الغمازتين ، أرى العالم بمسراته يكمن في انبعاج الحقيبة.

٤

ليس السفر ارتحالاً مكانياً ، إنه عشق العالم ، العشق الذي لا يخون معشوقه أبداً .

أنت هناك في الشارع الضاجّ أمام حركة لا تنقطع ، كأن المكان رئتاك ، حقيبتي بيدي وأنا أدخل بيت " شوبان " الموسيقي العظيم ، وبيت " مدام كوري " في وارشو ، وبيت "كافكا " في براغ . إن زياراتي تلك الأمكنة منحت حقيبتي تاريخاً فريداً .

٥-الآن ، الحقيبة مركونة أمامي في صمت كالخرس ، تحدق إليّ كأنها تؤنبني ، كأنها تقول إنك تقتلني . يا للرتابة من مهنة شاقة ! . وهكذا يشيخ جلد الحقيبة مثلما أشيخ ، وتكتئب الحقيبة مثلما أكتئب ، وتشعر الحقيبة باللاجدوى مثلما أشعر .

الحقائب ، مثل بعض النساء ، تستاء إنْ لم تغازلها بالسفر !.

جبرا إبراهيم جبرا وغويا ومجلة "العاملون في النفط"

سلوى الجراح

قرأت قبل ايام في ملحق المدى الثقافي، مقالة للكاتب الراحل جبرا إبراهيم جبرا، يروي فيها قصة تعارفه الطريفة مع كاتبة الروايات البوليسية الشهيرة أغاثا كريستي. حيث تعرف على زوجها عالم الآثار ماكس مالون الذي جاء عام ١٩٤٨ إلى بغداد للتنقيب في آثار نمرود عاصمة الدولة الآشورية في عصور ازدهارها، وقدمت هي له بصفتها "المسز مالون" ثم اكتشف بعد معرفة طالت، أن المسز مالون هذه ما هي إلا أغاثا كريستي الكاتبة المعروفة، التي ظلت مسرحية "مصيدة الفئران" المأخوذة عن رواية لها بنفس الاسم تعرض على مسارح لندن لتسعة وخمسين عاماً، بل وما زالت تعرض حتى يومنا هذا لأيام محدودة في مسارح لندن الصغيرة.

أسعدتني المقالة وعدت بالذاكرة إلى سنيّ الشباب الأولى وتعرفي عليه من خلال رواياته الاولى "البئر الأولى" ثم " صراخ في ليل طويل" والرواية التي استهوتني كثيراً "صيادون في شارع ضيق" التي كتبها أصلاً باللغة الانكليزية عن شاب فلسطيني يأتي بغداد ليعمل في التدريس ويصادق مثقفيها الشبان ويدور معهم في شارعها الضيق شارع الرشيد. واسترجعت أحاديثي معه.في ذلك الزمن البعيد. كنت قد تخرجت للتو من جامعة الحكمة للآباء اليسوعيين في بغداد، التي كان مبناها في منطقة الزعفرانية، لكنها أممت عام ١٩٦٩وأجبر أساتذتها من الاباء اليسوعيين ممن درّسوا فيها أو في كلية بغداد الشهيرة على مغادرة العراق بتهمة أنهم كانوا جواسيس رغم أنهم خرّجوا أجيالاً من خيرة المتعلمين. كنت شابة تحمل شهادة البكالوريوس في الادب الانكليزي، انضممت للعمل في شركة نفط العراق مترجمة للقسم التجاري. وكنت أمضي اليوم أترجم رسائل لا تخرج عن، كتابنا وكتابكم. وبدأت أشتاق لما تعلمت من شعر شكسبير وشوسر وادب ديكنز وهاردي.

كان جبرا ابراهيم جبرا رئيس تحرير مجلة "العاملون في النفط"، مجلة شهرية تصدرها شركة نفط العراق تتحدث عن إنجازات الشركة ونشاطاتها في تطوير صناعة النفط في العراق وتنقل أخبار العاملين في مدن النفط الرئيسية، البصرة وكركوك وعين زاله، قرب الموصل، ومحطات ضخ النفط. وكانت المجلة التي تصدر بغلاف لامع يحمل لوحة لأحد الفنانين العراقيين، جواد سليم، راكان دبدوب، رافع الناصري وغيرهم من أعلام التشكيليين العراقيين أو بعض الرسامين الشباب الواعدين، تضم بين صفحاتها بعض الموضوعات الأدبية والثقافية. وكان جبرا ابراهيم جبرا يشجع الكتاب والرسامين الشباب على الكتابة في مجلته ويدفع لهم أجوراً مجزية. فقد كان مؤمناً بالشباب وبضرورة تداول المعرفة والابداع بين الاجيال. بل إن الكثير من الشعراء والكتاب العرب يعترفون له بالفضل لأنه ترجم أجزاءً من كتاب "الغصن الذهبي" للسير جيمس جورج فريزير، الكتاب الذي قدم مفهوماً جديداً للميثولوجيا والدين وأثّر في الادب والفلسفة الغربية، وجعل رموز المثلوجيا الاغرقية أبطالاً في قصائد الشعر الحديث.

وكان جبرا ابراهيم جبرا صديقاً لأبي الذي عمل هو الآخر لسنين طويلة في شركة نفط العراق كمهندس مواصلات. وحين التحقت أنا بالعمل في الشركة قال لي يوماً: "لم لا تكتبين يا سلوى لمجلة "العاملون في النفط"؟ أكتب؟ أنا أكتب؟ أنا التي لم تكتب سوى المقالات الجامعية في تحليل رواية أو عمل أدبي كجزء من الدراسة،لم لا؟

حين جلست على الكرسي القريب من مكتبه وضع أمامي مقالاً باللغة الأنكليزية عن الرسام الاسباني الشهير فرانسيسكو خوزيه دي غويا (١٧٤٦-١٨٢٨). اقول لكم الحق لم أكن قد سمعت به. شعرت بخجل شديد من جهلي ولم يسعفني كل ما تعلمت من شعر وأدب ومسرحيات ولا حكايات أبطال الميثولوجيا الأغريقية. أحسّ هو بما يدور في عقلي همس باسماً: "غويا هو آخر من هم في قائمة الرسامين العظام والأول على قائمة المعاصرين الجدد، هو من الرومانسيين مثل بايرون وشيللي." احسست بشيء من الاطمئنان، هو إذاً رومانسي يعبر عن خوالج النفس ويقول كل ما يدور في خلده. وانا أحب الشعراء والكتاب الرومانسيين و أجد دائماً في الشعر العربي المعاصر نفس أبي الرومانسية الأنكليزية وليام وردزورث.

تصفحت الأوراق أمامي بصمت. لوحات بالابيض والأسود تحمل عنوان "كابريشوس". عاد يشرح لي: هذه لوحات مرسومة بالفحم يصور فيها غويا فظاعة الحرب، غزو نابليون بونابارت لاسبانيا عام ١٨٠٨ وقتل الأبرياء وإحراق المزارع. تأملت الصور مشاهد تصور الم الانسان تحت سطوة الظالم. بدأ عقلي يعمل كيف أترجم كل هذا الفن والتحليل إلى العربية؟ شرح لي أن المطلوب ليس ترجمة حرفية بل نقل للحقائق وشرح لبعض الوحات والحديث عن غويا، الناقد الفذ الذي رسم الأسرة المالكة الاسبانية باسلوب يشبه الكاريكاتير. أخذت الأوراق وفعلت كل ما طلبه مني، وعدت بعد أيام أجلس جلستي الأولى وأقدم لواحد من أشهر من ترجم مسرحيات شكسبير، اوراق اعتمادي.

جلس يقرأ بهدوء. كان مبتسماً، توسمت الخير في ابتسامته، ثم ذكّرت نفسي بهدوء هذا الرجل ولطفه. "أبو سدير" كما يعرفه المقربون، نسبة لابنه الأكبر. مرت لحظات خلتها دهراً ثم قال بهدوء: "جميل يا سلوى ولكن ما رأيك لو غيرنا هذه الكلمة وأعدنا النظر في هذه العبارة؟" قلت وأنا أداري خجلي إنني أريد أن أتعلم منه وإن أي تغيير يراه مناسباً يناسبني. لكنه رفض هذه الفكرة تماماً وشرح لي أن الكتابة شيء مقدس، ولا يجوز التلاعب في ما يكتب الكاتب، وأن من يكتب عليه أن يدافع عن كلماته إذا كان مقتنعاً بصحة ما كتب سواء أكان ذلك فكراً أو أسلوباً. وأن الرقابة على التعبير بكل أشكاله عدوان سافر على الفكر. " تخيلي لو أن جنود نابليون بونابارت أعدموا كل لوحات غويا عن الغزو الفرنسي ماذا كان سيبقى لنا؟"

بعد ذلك حين نشرت مقالتي في مجلة "العاملون في النفط" ملأني أحساس بالفخر. أريتها لكل صديقاتي ومعارفي. ورغم اني ترجمت بعد ذلك العديد من المواد الادبية، لم أنس تجربتي الأولى مع جبرا ابراهيم جبرا، بل بقيت طوال حياتي العملية كلما واجهت المدير الذي يشطب بقلمه ما لا يعجبه أو لا يعجب رؤساءه، اتذكر أولى تجاربي مع الكتابة بعيداً عن كتب الدراسة، تجربة فريدة جمعت بين جبرا ابراهيم جبرا وفرانشيسكو دي غويا.

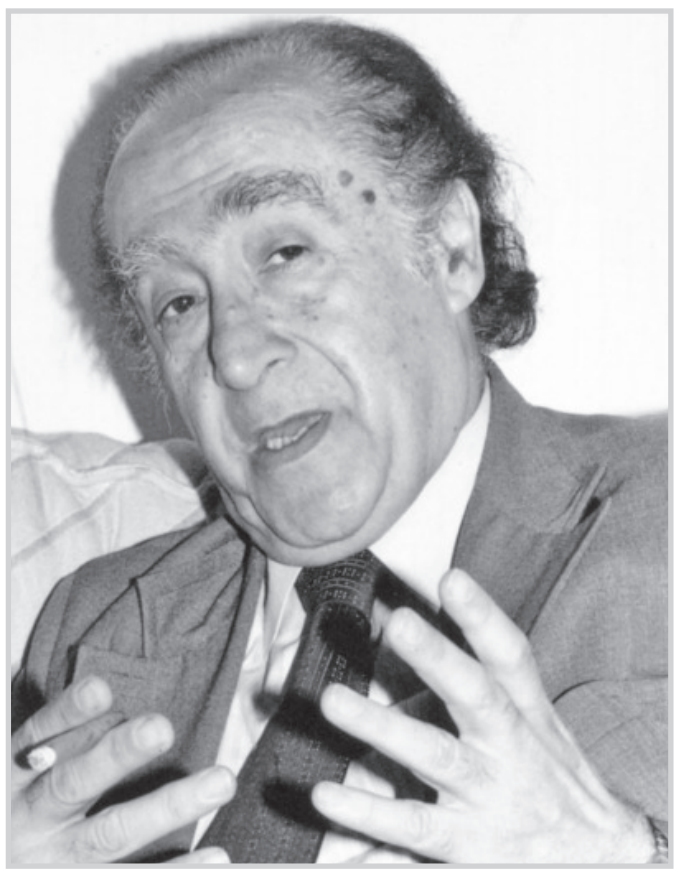

جبرا ابراهيم جبرا

وجهة نظر

عن ملتقى قاسم عبد الأمير عجام

وزارة الثقافة ودورها المفقود

بشار عليوي

سعى أُدباء بابل لأن يستذكروا شهيد الثقافة العراقية " قاسم عبد الأمير عجام "، من خلال تأسيس مُلتقى ثقافي يُقام سنوياً في ذكرى استشهاده المفجع ، فأقيمت الدورة الأولى من هذا الملتقى العام الماضي في ١٧/٥/٢٠١٠ . وعندما قَرُبَ الموعد لإقامة الدورة الثانية ، تمت مُفاتحة وزارة الثقافة ، لدعم المُلتقى مالياً من أجل إقامته ورعايته بشكل يليق باسم شهيد الثقافة العراقية ، وانطلاقاً من دور الوزارة المُرتجى في دعم ورعاية الأنشطة الثقافية العراقية ، ناهيك عن كون الشهيد لحظة استشهاده كانَ مُديراً عاماً لدار الشؤون الثقافية العامة " والدار واحدة من أهم مؤسسات الوزارة الرسمية " . لذا تم الاتفاق مع أقطاب هذه الوزارة على رعاية المُلتقى ودعمه بمبلغ ١٢ مليون دينار. وعلى ضوء هذا الاتفاق ، قام اتحاد أدباء بابل (بوصفه الجهة المُنظمة للمُلتقى) بترتيب منهاجه وفعالياته على هذا الأساس . لكن ما حدث قبل أيام قليلة ، كان بمثابة الصدمة لأدباء بابل ومُثقفيها عندما تم تبليغهم بإن الوزارة خصصت فقط ٢ مليون دينار للمُلتقى ، مما أربك جميع حسابات المنظمين ووضعهم في وضع لا يُحسد عليه والملتقى لم يتبق على انطلاق فعالياته سوى أيام معدودة . لا يخفى على أحد حجم " الفساد " الثقافي قبل المالي والإداري المُستشري في هذه الوزارة التي ابتليت الثقافة العراقية بها ، وإلا ماذا نُفسر تخصيص ٢٠٠ مليون دينار عراقي ، نعم ٢٠٠ مليون دينار عراقي نفقات إيفاد عدد من موظفي الوزارة للسفر الى الجزائر تحت يافطة " أيام الثقافة العراقية " ، بينما تتخلى هذه الوزارة وبنجاح ساحق عن كامل المشروع الثقافي العراقي ، كخطوتها " القاصرة " هذه .

قاسم عبد الأمير عجام ، اسم كبير وأكبر من وجود هُلامي لوزارة اسمها " وزارة الثقافة " . ربما يكون مبلغ الـ٢ مليون في عُرف هذه الوزارة بكافة أقطابها ، هو منحة كبيرة ، لكن هل يكفي أن نكتب أن المُلتقى يقام بدعم من وزارة الثقافة ؟؟ . إن اسم هذا النبيل " ملاك بابل " ، أكبر ممن يجلس خلف كراسي وزارة الـ" ثقافة " . إن كان لا بد من كلمة شكر ، فهي موجهة لحكومة بابل المحلية التي تبنت ضيافة وفود المُلتقى ، وموقف أدباء ومثقفي بابل المتمثل بعزمهم على إقامة المُلتقى حتى لو اضطروا (كما أعلنوا) إلى بيع أثاث بيوتهم ، لكن هذا لا يكفي ، فالموقف المطلوب ودون هشاشة ، أن يتم رفض تسلم منحة / مبلغ الـ٢ مليون من الوزارة ، وإن يُقام المُلتقى برعاية أهل بابل ومثقفيها ، من أجل أن يكون هذا المُلتقى يليق حقاً باسم " قاسم عبد الأمير عجام ".

في لقاء مع الكاتب البرتغالي انطونيو لوبو انتونيوس:

أكتب لأكون الأفضل .. أو لا أكتب !

ترجمة: عدوية الهلالي

بمناسبة صدور روايته الجديدة (اسمي الفيلق)، اجرت صحيفة الفيغارو الفرنسية حوارا مع الكاتب البرتغالي انطونيو لوبو انتونيوس الذي يعد واحدا من الأصوات الكبرى في عالم الادب ، وتعكس كتاباته موهبة خارقة بل يتوقع البعض لعمله الجديد نيل جائزة نوبل للأدب، وهو عمل معقد وساحر يتحدث عن الحقد والعنصرية والذكريات والجنون .. رداً على سؤاله عن نقاط الانطلاق في روايته أجاب انتونيوس انه كان يخزن في ذهنه فكرة عن مجموعة من الأولاد السود الذين ولدوا في البرتغال وأغلبيتهم ليس لديهم آباء اذ مات بعضهم خلال الحرب الأهلية ومات البعض الآخر بسبب مرض الايدز ..

ولا ينتمي هؤلاء الأطفال السود الى إفريقيا التي لم يعرفوها ولا إلى أوروبا التي ترفضهم ..كانت تلك الشريحة من الأولاد هي التي منحت انتونيوس فكرة روايته، فانطلق منها ووزع الأدوار على شخصياته بروية ..

وعن اعتباره روائياً شديد المعرفة بكل شيء وذا صوت مركب من عناصر مختلفة قال انه كان يشك في مسألة تعدد الأصوات لكنه ربما كان على خطأ إذ انه لا يقرأ كثيرا للآخرين بل يجيد الكتابة لهم فقط ..ويقول انتونيوس انه يرغب أحياناً بتصحيح اعمال الآخرين حين يقرأ لهم فينتزع منه هذا الامر متعة القراءة ، ولهذا السبب فهو لايقرأ إلا البحوث والسير الذاتية والمراسلات ، وكان قد انتهى من اعادة قراء (صحيفة ديلاكروا) التي يعتبرها معجزة ادبية لكنه يؤكد عدم الكتابة في الصحف او نشر القصص القصيرة لأنه يجيد كتابة الروايات اكثر ..

رغم ذلك ، نشرت له الصحف البرتغالية مقالات واقعية اعتاد على ان ينظر اليها بعدم اكتراث لأنها كلمات تلد من تلقاء نفسها –كما يقول – على العكس من الرواية التي تستهلكه ويكتبها بجدية ..

ويعتقد انتونيوس ان الكاتب يخوض حياته عبر الكتب ..وعن سؤاله فيما اذا كان راضيا عن عمله قال انتونيوس ان إحساس عدم الرضى يتملكه على الغالب لأن الكاتب في نظره اما ان يكتب ليكون الأفضل وان أعماله ستمثل عقبة بينه وبين الإبداع ...

ويقول انتونيوس انه أدرك امتلاكه موهبة طبيعية منذ ان كان في سن الثانية عشرة لكنه كان بحاجة الى الكثير من العمل لبلوغ الموهبة الحقيقية ..انه يعترف مثلا بأنه لم يكن يمتلك موهبة الكاتب سكوت فيتزجيرالد الذي كان يبهره بكتاباته وكان يفغر فاه كلما قرأ رواية (غاتسبي العظيم) ويستغرب كيف يمكن لشاب في الثامنة والعشرين من عمره ان ينجز عملا رائعا كتلك الرواية الكاملة ..

ويكتب انتونيوس ببطء شديد ويعمل كثيرا على تصحيح كتاباته ويراوده الظن دائما بان كتاباته الأولى للرواية سيئة جدا لكنها تبدو رائعة في ما بعد ..لقد ادرك منذ خمس او ست سنوات انه كان يبكي وهو يكتب ليس حزنا او فرحا بل للتعبير عن شعور غريب بانه يقول أخيراً ما يريد قوله فهو يظن بان المرء يكتب لأن هناك أشياء لابد من ان يقولها واذا لم يكتبها فسيكون مذنبا ولن يكون لحياته أي معنى ...ورغم انه اصدر تسع عشرة رواية فمازال يشعر بان وجود اسمه على أغلفة روايته يحمله مسؤولية تقديم أعمال أفضل مما قدمه ..فالكتابة بالنسبة له بالغة الصعوبة لكن الأسوأ منها هو عدم الكتابة ..وهو يتذكر دائما ذلك الرجل في احدى روايات ديكنز الذي يسأل والدته العجوز المريضة ان كانت فعلا مريضة جدا فتقول له بأنها تشعر بوجود ألم في الحجرة لكنها لا تعرف حقا ان كانت هي التي تشعر به !!

ويشبه انطون عملية الكتابة لديه بما سبق، مشيرا الى انه يمتلك دائما اسئلة بحاجة الى اجوبة وهو ما يدفعه الى محاولة تقديم أفضل ما لديه للإجابة على تلك الأسئلة ..

ترجم رواية انطونيو لوبو انتونيوس عن البرتغالية الفرنسي دومينيك نيديليك وصدرت مؤخرا عن دار نشر كريستيان بورغوا في (٥١٠) صفحة ...

انطونيو لوبو انتونيوس

منطقة محررة

في موت أسامة بن لادن على يد توأمه رامبو

■ نجم والي

ليست هي تلك حكاية قديمة أبداً، إنما ما تزال طازجة، وما يزال طعم مرارتها عالق في الأفواه، فيها الكثير ما يخبرنا عما حصل: تسع سنوات استمرت الحرب، كلفت مليونين من الموتى، لم يبخل الغزاة في استخدام أي سلاح، جربوا حتى الأسلحة الكيمياوية ضد السكان المحليين، لكن بغض النظر عن حجم الرعب والقسوة لم يستطيعوا كسر إرادتهم. في ذلك الوقت كانوا يقاتلون حينها "موحدين" بأغلبيتهم ضد الروس "الأشرار"، مستخدمين أسلحة بدائية بمواجهة الدبابات والطائرات الروسية. نفر صغير منهم فقط كان مسلحاً بصواريخ ستنيتغير الأميركية الحديثة وبالأسلحة الإنكليزية بلوويبز، وهناك كان على بعض المستشارين من الأميركان "الأصدقاء" التوغل في "قلب الظلام" ليجهزوا مقاتلي حرب العصابات "الشجعان" بالأسلحة المناسبة، من أجل الانتصار على العدو "الكافر" المشترك. كل ما دار ضمن مجرى هذه العملية رواه بدقة فيلم "رامبو ٣". في الفيلم نشاهد كيف أن البطل المفتول العضلات، المقاتل المجرب في فيتنام "جون رامبو" ينجح بتعطيل كل أسلحة الدفاع "الهجوم" الروسية، وكيف أنه وحده يستطيع طرد الروس من البلاد "المؤمنة". في كل ما نشاهده في فيلم "رامبو ٣" لا نجد في شخصيته ما يدل على أية صفة غير إنسانية، بل أنه ليس هناك ما يجمعه مع شخصية الأميركي "القبيح" الإمبريالي، وخاصة عندما نراه يغادر بطواعية تاركاً البلاد بسخاء في المشهد الأخير لأصحابها، للمقاتلين المحليين، لأنه يعرف أن عندهم الحق ليعيشوا حسب تعاليمهم الدينية حتى النفس الأخير. المقاتلون "الرائعون" هؤلاء كانوا المجاهدين، الذين كانت حكومتهم لا تقل بطشاً ونهباً وقتلاً واغتصاباً واحتقاراً للنساء إلا قليلاً عن الحكومة التي حلت محلهم، حكومة الطالبان.

للأسف ليس هناك أي باحث حتى اليوم، جرؤ على كتابة سيرة حياة جون رامبو وبن لادن ليقارن بينهما: "البطلان" دخلا التاريخ في أواسط الثمانينات، والاثنان حسب ما يدعيان- طالبا ثأر باسم المعوزين. أسامة بن لادن، يمني- سوري الأصل، تنازل عن الثروة التي ورثها، غادر المملكة السعودية (بلاده) وتأبط شراً باتجاه الحرب. بن لادن الشاب شارك في المقاومة في جبهة مقدسة ضد الروس. صحيح أن رامبو لم يكن ملياردير اً ولا تملك عائلته شركة مقاولات رقم واحد في السعودية، لكنه تنازل على الأقل عن حياته المريحة في كاليفورنيا وذهب لنجدة شعب "مذل" غريب. كان المقاتلون الأفغان يقاتلون في البداية بأسلحة بدائية ضد الروس المزودين بأسلحتهم الثقيلة، وكان من الممكن أن تستمر الحرب هناك سنوات طويلة أخرى، لو لم تتبرع لهم وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية بالأسلحة المضادة للطائرات عبر الحدود الباكستانية. (هنا يأتي الأخ "الأميركي" بالسلاح، رامبو في اللعبة). لكن فجأة تدور رحى السياسة في العالم باتجاه آخر، الروس ينسحبون، ويفقد الأميركان الرغبة بالبقاء، كما لم يجدوا أية مصلحة لهم هناك، فيتركوا المقاتلين "المؤمنين" وحدهم مواجهين مصيرهم، يذبح بعضهم البعض. أسامة بن لادن يتصرف بنفس الصورة التي تصرف فيها جون رامبو في فيلم "رامبو ١"، بل أنه أكثر رامبوية من رامبو نفسه، عندما يأخذ على عاتقه أخذ الثأر والانتقام لكل الذل الذي ألحقه الغرباء "الكفار"، وخاصة "الأصدقاء" منهم، بإخوانه "المؤمنين" على مدى قرون طويلة.

جون رامبو، البطل الأسطوري الذي يجيد في الحقيقة استخدام كل الأسلحة، هو من اختراع "دافيد موريل". وفقط مؤلف أميركي يسمح لنفسه بتعميد بطله على اسم الشاعر الفرنسي "أرثر رامبو". لكن رامبو في الجزء الثالث هذا من الفيلم لم يُحكم عليه بفقدان مهارته "الشعرية"، إنما عليه التنازل عن حياته "السلبية" السابقة فقط. التظاهر بالتواضع نعرفه من أبطال ملامح حربية كلاسيكية، كما خبرناه عند أوديسيوس وآخيل مثلاً، رامبو فعل ذلك بصورة أفضل، عندما راح يقضي أيامه في معبد بوذي، يساعد الكهنة في عملهم، كأنه اختار "الصوفية" مذهباً جديداً.

أسامة بن لادن ليس أقل صوفية من رامبو. صحيح أنه أكثر نحافة من رامبو، وأكثر شبهاً بفنان وجودي جائع صعلوك، لكنه أيضاً محارب مخضرم "صنديد" يملك خلفية دينية صوفية غامضة. بعد حياة الشباب التي قضاها "ضحك ولعب وجدّ وحب" وجد هو أيضاً طريق الهداية والإيمان بالإله الحقيقي، الذي هداه .كما يدعي .للجهاد. والتجلي الذي عاشه أسامة بن لادن، يجب أن يكون قد حدث أثناء الحملة الأفغانية الأولى (ضد الروس). فذات مرة، كما يُروى عنه، سقطت فجأة قنبلة عند قدميه. في تلك اللحظة سيطرت السكينة على روحه، لأنه كان يعرف، بأن حياته الأرضية لا تعني شيئاً. القنبلة لم تنفجر، منذ ذلك الوقت عاش محاطاً بالموت، حياة ما بعد الموت بالأحرى. لكن ما لم يعرفه أسامة بن لادن، هو أن الموت سيأتيه هذه المرة على شكل سلاح خفيف، طلقة في الرأس سيطلقها عليه، ليس غير توأمه الروحي رامبو الذي افتقده منذ زمان.

"ها هو ذا زمن القتلة"، هتف الفرنسي آرثر رامبو (وليس الأميركي جون رامبو) قبل أن يبدأ حينها بتجارة الأسلحة. كل مرتكبي الجريمة هناك، في جبال الهندوكوش، من غير المهم إلى أية قومية ينتمون، كل واحد منهم يمثل دوره المطلوب منه على صخور مسرح العبث القاتل ذاك، بينما نراهم نحن، المتفرجون بكل اليأس الذي يغلفنا، نحن، الذين أعطونا دور المتفرج فقط: رامبو بنظرته التي تشبه نظرة الدمية وهو يرفع علامات النصر، وورثة السفاح أسامة بن لادن، وهم يتوعدون بالثأر، كل واحد منهم يريد على طريقته الانتصار، وأنها – كما وعدنا أكثر من فهلوي ومحتال على مر أزمان طويلة – لثورة حتى النصر!!